

عفواً... إن كنت تبحث عن السعادة، فاقراً هذه الرسالة

# البحث عن السعادة

للشيخ / ندا أبو أحمد



## (البحث عن السعادة)

مَهَيِّدٌ

إِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ  
فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ.....

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ  
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ  
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل  
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

## مما لاشك فيه أن كل الناس يبحثون عن السعادة.

### ١. فالبعض يظن أن السعادة في المال:

فمن الناس من ينظر إلى صاحب الأموال الكثيرة، والسيارات الفارهة، والقصور العالية، ويظن أنه من أسعد الناس، لكن هذه السعادة وهمية غير حقيقية، فهو في كدٍ وتعب وشقاء لجمع هذا المال وإحرازه، ويظل هذا الشقاء والقلق خوفاً من ضياع هذا المال أو سرقة، بل ويستمر هذا الشقاء عندما يترك هذا المال الذي أفنى العمر في جمعه، فإنه يتركه لغيره كله، بل ويحاسب عليه كله، ويُقدم على الله تعالى بأوزاره وسيئاته، فينادي بأعلى صوته ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾

[الحاقة: ٢٨-]

[٢٩]

ويُعَذَّب بهذا المال في الآخرة؛ لأن هذا المال شغله عن طاعة الله، وأنه لم يؤدِّ حق الله فيه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

[التوبة: ٣٤-٣٥]

بل انظر إلى هذه المرأة التي تدعى "كريستينا أوناسيس":

وهي ابنة المليونير اليوناني الشهير "أوناسيس"، مات أبوها وترك لها خمسة آلاف مليون ريال، وأسطولاً بحرياً ضخماً، وهي تملك جزراً كاملة، وتملك شركات طيران، تزوجت مرة وثانية وثالثة ورابعة، وفي كل مرة تبحث عن السعادة ولا تجدها.

بل وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم. أنا أغنى امرأة، ولكني أشقى امرأة. ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهم، وبعد ذلك وجدوها ميتة في شاليه في الأرجنتين وحيدة شريفة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى شقاء أصحاب الأموال الذين لا يتقون الله ﷻ في جمعها وإنفاقها، ومعرفة حق الله ﷻ فيها، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَتَزَهَّقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]

أي: يعذبهم بجمعها، فيوصلون الليل بالنهار في تحصيلها، ويبخلون بإنفاقها، وهم كافرون بمنع حق الله ﷻ فيها.

## ٢. والبعض يظن أن السعادة في الشهرة:

وهذا ظن خاطئ، إذ أن الشهرة تكون في غالب الأحيان سبب الشقاء والتعاسة.  
وهذا قول من نالوا حظاً من الشهرة:

— تقول الممثلة الأمريكية المشهورة "مارلين مونرو" قبل وفاتها أو انتحارها وهي تنصح المرأة: احذري المجد، واحذري كل من يخدعك بالأضواء، إنني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أمّاً، إنني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية على كل شيء، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، لقد ظلمني كل الناس، إن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.

— وتقول الممثلة التائية "تسرين" في كتاب "التائبون" ص ٢٣٨:

كان يومي يضيع دون إحساس بالسعادة، ودون أن أشعر بالسلام، والآن ليس لديّ وقت كاف؛ لأن هناك أمور كثيرة نافعة يجب اللحاق بها.

— وتقول "هناء ثروت" الممثلة التائية - في نفس المصدر السابق ص ١٤٦:

رداً على سؤال ابنتها، هل كنت سعيدة حقاً يا أمي؟ فقالت: ابنتي الحبيبة، لقد كنت قطعة من الشقاء والألم. فقد عرفت وعشت كل ما يحمل قاموس البؤس والمعاناة من معانٍ وأحزان.

— وتقول السيدة الفاضلة "شمس البارودي":

خرجت في سبيل الله لبعض البلاد العربية - وأمريكا -، والحمد لله سعدت بهذه الرحلات الإيمانية، ولأول مرة استشعر حلاوة الخروج في سبيل الله - فلا نبتغي منصباً، ولا أجراً، ولا جاهاً، ولا متعة الدنيا، وقد زرت في جاهليتي كل بلاد العالم - ميامي، فلوريدا، كاراكاس، نيويورك، باريس، لندن، هولندا، اليونان، إيطاليا. وقد كنت لا أسافر إلا بشروطي الخاصة، فلا أقيم إلا في فندق خمس نجوم، ولا أتحرك إلا بدعاية، ولكنني لم أشعر وقتها بأي سعادة ولا استقرار؛ لأنها رحلات كانت هباءً منثوراً. أما الآن فعندما أخرج في سبيل الله لا أعرف بماذا؟ ولا كيف سأسافر؟ ولا أين سأقيم؟ لأنني دائماً في ضيافة الرحمن، وسعادتي لا تدانيها سعادة، ما دامت النية خالصة لوجه الله.

(حوارات مع الفنانين والفنانات التائبين والتائبات - السيد أبو داود، وليلى بيومي ص ٣٦ - ٣٧، "دار

(المروة")

فهذه شهادة من السيدة شمس البارودي، وقد عاشت زماناً من عمرها في الأجواء الفنية، وما فيها من مال، وشهرة، وأضواء، فلم تجد طعم السعادة، ثم من الله عليها بالإيمان، والطاعة، والعبادة، فاستشعرت حلاوة الإيمان، والسعادة بطاعة الرحمن.

فالتائبون والتائبات يشهدون في هذه القضية، أن طريق السعادة هو طريق الإيمان والعبادة، وليس طريق المعاصي والشهوات والإعراض عن رب الأرض والسماوات.

### ٣. وقد يظن البعض أن السعادة في نيل الشهادات العالية والمراكز المرموقة:

فنقول أيضاً: هذا ليس سبيلاً للسعادة.

**تقول إحدى الطبيبات والتي لم تذق طعم السعادة:** "السابعة من صباح كل يوم يستفزني، يستمطر أدمعي... لماذا؟ اركب خلف السائق متوجهة إلى عيادتي - بل مدفني، بل زنزانتي - وعندما أصل إلى مكتبي - بل إلى مثنوي - أجد النساء بأطفالهم ينتظرنني، وينظرن إلى معطفي الأبيض وكأنه بردة حريرية فارسية، هذا في نظر الناس وهو في نظري لباس حداد لي.

**ثم تواصل قولها:** أدخل عيادتي أتقلد سماعتي، وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، والعقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي - أي بلغت الثلاثين - والتشاؤم ينتابني على المستقبل.

**وأخيراً تصرخ وتقول:** خذوا شهادتي، ومعاطفي، وكل مراجعي، وجالب السعادة الزائفة - المال والمركز - وأسْمِعُونِي كلمة "ماما"، ثم قالت هذه الأبيات:

لقد كنت أرجو أن يقال طبيبة	فقد قيل فما نالني من مقالها
فقل للتي كانت ترى في قدوة	هي اليوم بين الناس يرثى لحالها
وكل منهاها بعض طفل تضمه	فهل ممكن أن تشتريه بمالها

(التوقيع دكتورة س. ع. ع. الرياض، نقلاً من كتاب السعادة بين الوهم والحقيقة ص ٢٤ - ٢٦)

### تنبيه:

هذا ليس تقليل من شأن مهنة الطب، أو عدم المسارعة إليها وإلى غيرها من الوظائف المهمة، ولكن المقصد أن طلب أي مهنة والاشتغال بها لا يكون بعيداً عن طاعة الله.

## ٤. والبعض يظن أن السعادة في الثقافة الغربية، والوظيفة العالية، والزواج من فتاة جميلة غنية:

ولنترك الإجابة لهذا الشاب الذي يقول: مات والدي وأنا صغير، فأشرفت أمي على رعايتي، عملت خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف عليّ، فقد كنت وحيدة، أدخلتني المدرسة، وتعلّمت حتى انتهيت من الدراسة الجامعية، كنت باراً بها، وجاءت بعثتي إلى الخارج، فودّعتني أمي والدموع تملأ عينيها، وهي تقول لي: انتبه يا ولدي على نفسك، ولا تقطعني من أخبارك، أرسل لي رسائل حتى أطمئن على صحتك، أكملت تعليمي بعد زمن طويل، ورجعت شخصاً آخر قد تأثرت بالحضارة الغربية، رأيت في الدين تخلفاً ورجعية، وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية، وتحصلتُ على وظيفة عالية، وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدتي قد اختارت لي فتاة متدينة محافظة، ولكني أبیت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة؛ لأنني كنت أحلم بالحياة الأرستقراطية كما يقولون، وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجتي تكيد لأمي حتى كرهت والدتي، وفي يوم من الأيام دخلت البيت وإذ بزوجتي تبكي، فسألته عن السبب؟ فقالت لي: شوف... يا أنا يا أمك في هذا البيت!، لا أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك، جن جنوني وطردت أمي من البيت في لحظة غضب، فخرجت وهي تبكي وتقول: أسعدك الله يا ولدي.

وبعد ساعات خرجتُ أبحث عنها ولكن بلا فائدة رجعت إلى البيت، واستطاعت زوجتي بمكرها وجھلي أن تتسني تلك الأم الغالية الفاضلة، انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أصبت خلالها بالسرطان، دخلت على أثره المستشفى، وعلمت أمي بالخبر، فجاءت تزورني وكانت زوجتي عندي، وقبل أن تدخل عليّ طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا، ماذا تريدین منا؟ اذهبي عنا، فرجعت أمي من حيث أتت. وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل، انتكست فيه حالتي النفسية، وفقدت الوظيفة وتراكت عليّ الديون، وكل ذلك بسبب زوجتي، فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة، وفي آخر المطاف أنكرت زوجتي الجميل، وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك، ولم يعد لك مكان في المجتمع، فإني أعلنها لك صريحة أنا لا أريدك، طلقني! كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسي، وطلّقتها بالفعل فاستيقظت من السُّبات الذي كنت فيه.

ثم خرجتُ أهيم على وجهي أبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها ولكن أين وجدتها؟ كانت تقبع في إحدى الأربطة تأكل من صدقات المحسنين، دخلت عليها، وجدتها وقد أثر عليها البكاء، فبدت شاحبة وما أن رأيته حتى ألقىت بنفسي عند رجليها، وبكيت بكاءً مُراً، فما كان منها إلا أن شاركتني البكاء، بقينا على هذه الحالة ساعة كاملة بعدها أخذتها إلى البيت، وعاهدت نفسي أن أكون طائعاً لها، وقبل ذلك متبعاً لأوامر الله مجتنباً لنواهيه. وها أنا أعيش أحلى أيامي وأجملها مع حبيبة العمر أمي.

## ٥. وقد يظن البعض أن السعادة في الجاه:

وهذا فهمٌ وظن خاطئ أيضاً، فأهل الجاه والسلطان والمناصب البعيدين عن الله، هم في شقاء وتعاسة وهم ونكد:

— نكرت جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ ٢١/٤/١٤١٥ هـ:

أن زوجة الرئيس السابق "جورج بوش" حاولت الانتحار أكثر من مرة، وقادت السيارة إلى الهاوية تطلب الموت، وحاولت أن تختنق هرباً من همومها.

— وما هو "تابلين" يقول في "سانت هيلينا":

لم أعرف ستة أيام سعيدة في حياتي.

— وقال هشام بن عبد الملك - الخليفة -:

عددت أيام سعادتني فوجدتها ثلاثة عشرة يوماً.

— وكان أبوه عبد الملك يتأوه ويقول: يا ليتني لم أتولَّ الخلافة.

فكان سعيد بن المسيب - رحمه الله - يقول عندما يسمع هذا:

الحمد لله الذي جعلهم يفرُّون إلينا، ولا نفر إليهم. أها—

إذا السعادة ليست في المال، ولا في الشهرة، ولا في الشهادة، ولا في المنصب، ولا في الجاه، بل قد يظن البعض أن السعادة تكون في دول أوربا، حيث التقدم ومقومات الحياة، لكن الواقع والإحصائيات تقول بخلاف ذلك، فهناك أكبر نسبة للانتحار، والاغتصاب، والطلاق، والجرائم والسعار الجنسي، والشذوذ، والأمراض الجنسية الفتاكة، والإغراق في شرب الخمر وسائر المخدرات، والاكتئاب والاضطرابات النفسية.

فكل هذا نتيجة البعد عن الله ﷻ، وصدق القائل حيث قال:

ولا دنيا لمن لم يحيي ديناً

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

فقد جعل الفناء لها قريناً

ومن رضي الحياة بغير دين

## ٦. والبعض يظن أن السعادة في شرب الخمر، وسماع المعازف، واتخاذ الخيلات:

لا. والله، لم تكن السعادة مطلقاً في ارتكاب الآثام، وفعل المعاصي وما يغضب رب العالمين.

- بل انظر إلى هذا الشاب وهو يحدثنا عن نفسه ويقول:

"مرّ عشرون خريفاً من عمري وأنا في ظلام دامس، أتخطب خطب العشواء، لا أحسّ للعالم طعماً، المال كثير، أخلائي كثير، ماذا ينقصني؟ في نفسي جوعة، وفي صدري ضيق، ماذا يشبع تلك الجوعة؟ ومن ذا يشرح هذا الضيق؟ لم تشبع نفسي قط، معازف لم تشرح صدري، بل على العكس تماماً، فالجوعة زادت، والضيق ازداد، بدّلت أخلائي، سافرت وعدت، سهرت كثيراً وشربت، لهوت كثيراً وتعبت، والجوعة دائماً تزداد، والضيق كذلك، أحسست كأني مسجون في دنياي، وأن الأرض برحابتها ضاقت، فكرت كثيراً وطويلاً، وأخيراً ظهر الحل.

الآن سأشعر بالراحة هذه سكينى بيدي تلمع باسمه راضية عن هذا الحل، الناس هجوّع، والأهل نيام، لم تبق سوى لحظات وأعيش ساعات الراحة، لكن وأنا في تلك اللحظات، وسكينى في يدي تقترب من قلبي الميت، جاء من أقصى الصمت صوت يسع، ويقول: الله أكبر - الله أكبر، سقطت السكين من يدي، وتحرك قلبي الميت، وكأنه كان بغيوبة، واستيقظ بعد طول سبات، ويح نفسي ماذا جدّ؟

أغريب هذا الصوت؟ عشرون خريفاً تسمعه أما أحسست معناه إلا الآن.

وشرعت أحقق رغبة نفسي بإجابة هذا الصوت، أخذت وضوءاً، وبدأت وضوئي، أسلت الماء على وجهي المرهق، فارتاح وأراح براحتي نفسي، وخرجت إلى الشارع متجهاً نحو المسجد، دخلت المسجد، وقفت في الصف مع الناس، طراز من الناس لم أعده بحياتي، ووجوه بيضاء يشع منها نور، ونفوس طيبة مرتاحة، وبدأ الإمام يقرأ آيات وأنا أنصت في تلك اللحظات، فأجهشت بالبكاء، بكاء صادق، نزل هذا الدمع غزيراً، وسال على خدي، وسقى أرضاً جدباء في قلبي؛ فأحيا هذا الدمع بعد كلام الله موت فؤادي.

فالقلوب تشقى بالمعاصي، وتسعد بذكر الله، وتطمئن بطاعته وعبادته

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].



## ويبقى السؤال: أين نجد السعادة؟!

نقول لهؤلاء الشاردين، والمعرضين، والمسرفين، والمنحرفين عن الطريق المستقيم، وهدى رب العالمين: إن السعادة ليست في الشهوات الدنيوية، واللذات الدنية، وإنما السعادة كل السعادة في

### ١. الطاعة والعبادة:

فالعين ما خلقت إلا للإبصار، والأذن للسمع، واللسان للتذوق والتحدث، فكذلك القلب ما خلق إلا لمحبة الله ﷻ وعبادته وتوحيده، فلا يسعد إلا بذلك، وإذا تعلق القلب بغير الله فإنه يكون أشقى من العين إذا فقدت نورها، ومن الأذن إذا فقدت سمعها، ويظل هذا القلب في تقلب وشقاء، وهم وغم وحزن، فلا سعادة ولا حياة ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا في طاعته والقرب منه والأنس به، وعدم الالتفات إلى غيره، ففي القلب اضطراب وقلق وفاقة، لا يسكن ولا يطمئن إلا بالرجوع والإنابة إليه سبحانه، فالقلب يطمئن بالله، وإليه يسكن وبه يفرح، وعليه يتوكل، وإياه يرجو ومنه يخاف، وبذكره يطمئن، وبغيره يستوحش وبه يأنس.

فالقلب السليم دائماً يحن ويشتاق إلى الطاعة أكثر من حنين الجائع إلى الطعام والشراب، ومن المعلوم أن من أحب الله أحب خدمته، وصارت العبادة والطاعة قوت قلبه، وغذاء نفسه، وسر سعادته، وقد كان النبي ﷺ يُصلي حتى تتورم قدماءه، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد قيل: وكن لربك ذا حُبٍّ لتخدمه      إن المحبين للأحباب خدام

وقال ابن المبارك:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه      هذا لعمرى في القياس بديع  
ولو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

وكانت إحدى الصالحات تنصح بنبيها فتقول لهم:

تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا الطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية، مرتت المعصية بهم محتشمة وهم لها منكرون.

**قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي":**

"قال بعض العلماء: فكرت فيما يسعى فيه العقلاء، فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا بالأكل الشراب، وهذا بالتجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة، وهذا باللهو واللعب. فقلت: هذا المطلوب مطلوب العقلاء، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه، بل لعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، ولم أرَ في جميع هذه الطرق طريقاً موصلاً إليه إلا الإقبال على الله، ومعاملته وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء، فإن سالك هذه الطريق إن فاتته حظه من الدنيا، فقد ظفر بالحظ الغالي الذي لا فوت بحظه من الدنيا ناله على أنها الوجوه، فليس للعبد أنفع من هذه الطريق ولا أوصل منها إلى لذته وبهجته وسعادته. أهـ

وكما يجد العبد السعادة مع الطاعة والعبادة، فإنه كذلك يجد ضنك المعصية والشقاء في الإعراض عنه، فكم عصى الإنسانُ الله ﷻ فوجد جزاء ذلك من ضيق في الصدر، وسواد في الوجه، وشقاء في القلب، وانشغال البال، واضطراب في الفعال، وسر المسألة أن العبد إذا أطاع الله ﷻ قربه الله وأدناه، فيأنس بالله ﷻ ويسعد به، ويُسّر بخدمته، فيقبل على النوافل فضلاً عن فعل الفرائض؛ فيحبه الله،

**كما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري:**

**"ولا يزال عبي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..." الحديث**

**وإذا أحبه الله سخر له الكون كله لخدمته، كما قال يحيى بن معاذ - رحمه الله -:**

"من سرَّ بخدمة الله سرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرَّت عينه بالله قرَّت عين كل أحد بالنظر إليه. أهـ — فهذه سعادة ما بعدها سعادة، أما سعادة الآخرة فيكفي منها القرب منه يوم القيامة ﷻ، فلا ينال التقرب من الله ﷻ في الآخرة، ويسعد بجواره في الجنة إلا من اجتهد في التقرب إليه في الدنيا؛ لذا تجد أهل الفردوس هم أسعد الناس؛ لأن الفردوس سقفه عرش الرحمن، فحقيقة الأمر وسر المسألة أن سعادة العباد في الدنيا والآخرة لا تكون إلا في قربهم منه وطاعته ﷻ.

• ومن الأدلة القرآنية على أن السعادة في طاعة رب البرية:

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

[طه: ١٢٣-١٢٦]

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا، ﴿وَلَا يَشْقَى﴾: في الآخرة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسلي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هدايه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدرة، بل صدره ضيق حرج لضلّاله، وإن نعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء.

يقول ابن القيم - رحمه الله - كما في "الداء والدواء" ص ١٤:

وفُسِّرَت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، ولكن الآية تتناول ما هو أعم، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى. فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تتعم في الدنيا بأنواع النعم، ففي قلبه من الوحشة، والذل، والحسرات التي تقطع القلوب، والأمانى الباطلة، والعذاب الحاضر، إلى أن قال - رحمه الله -: ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلاها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل. فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحاً. كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، والحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، فهم أحياء في الدارين. أهـ

فإلى الباحثين عن السعادة والنعيم، اعلموا أن السعادة والنعيم في طاعة رب العالمين.

• ومما يدل أيضاً على أن السعادة في الطاعة، قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

قال ابن القيم - رحمه الله - كما في "الداء والدواء" ص ١٤٧:

"ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ مختص بيوم الميعاد فقط،

بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة. وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟! أها—

— فهذه والله هي الحياة الطيبة التي يحيها عباد الله الطيبين، الذين استجابوا لرب العالمين، فسعدوا في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

فهو وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً - وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ - من ذكر أو أنثى بأن يحييه الله تعالى حياة طيبة، وهي الحياة التي تتلج الصدور بلذة اليقين، وحلاوة الإيمان، والرغبة في الموعود، والرضا بالقضاء، وعشق الروح من العبودية لغير الله، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

"ولا شيء على الإطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره، وتتعلمه بحبه، وإيثاره لمرضاته، بل لا حياة له، ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك.

— هذا بخلاف من أعرض عن طاعة الله، فهو في ضنك، وضيق، لا يشعر بالسعادة، وإن كان من أغنى الناس، بل هذا الرجل ميت وإن كان يمشي بين الناس، قال تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾

[الأنعام: ١٢٢]

فأدعوكم بدعوة الله ﷻ لعباده المؤمنين، حيث قال في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

ويؤكد النبي ﷺ على هذا المعنى فيقول كما في "صحيح البخاري":

**"مثلُ الذي يذكرُ ربَّهُ والذي لا يذكرُ ربّه مثلُ الحي والميت".**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠٦/١):

إن سعادة النفس أن تحيا الحياة النافعة فتعبد الله، ومتى لم تحي هذه الحياة كانت ميتة، وكان مالها من الحياة الطبيعية موجبا لعذابها، فلا هي حية متعمة بالحياة، ولا ميتة مستريحة من العذاب.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣]، فالجزاء من جنس العمل، لما كان في الدنيا ليس

يحيى الحياة النافعة، ولا ميتا عديم الإحساس، كان في الآخرة كذلك. أهـ

ويقول ابن القيم - رحمه الله - كما في كتابه "الفوائد" ص ٦٧:

فتضمنت الآية السابقة أمورا، أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أدل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي الحياة لمن استجاب لله والرسول ظاهرا وباطنا، فهؤلاء هم الأحياء، وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كان كل ما دعا إليه الرسول ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول.

— فالفلاح كل الفلاح، والسعادة كل السعادة لمن زكى نفسه بطاعة الله تعالى،

وطهرها من الأخلاق الدنيئة، والأفعال القبيحة، كما قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]

فتجد في الآية أن الله ﷻ أناط الفلاح والسعادة بمن زكى نفسه بطاعته ﷻ وطهر نفسه من الأخلاق الدنيئة والردائل، كما أناط الخيبة والخسران والشفاء بمن ركب المعاصي وترك طاعته ﷻ

ويتأكد هذا أيضاً في قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[المؤمنون: ١-١١]

فإنه ﷺ علّق الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة بجنة الفردوس لمن أطاعه واستجاب لأوامره، وابتعد عن نواهيه، وهذه هي السعادة الحقيقية والفوز العظيم، كما قال رب العالمين:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧١]

— وطاعة الله تعالى واجتناب نواهيه هي ما يعرف بالتقوى، وهي سر السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فطاعة الله وترك معاصيه فلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ولا يظن ظان أن الرزق ينحسر في المال فقط، بل أن سعة وانتشراح الصدر رزق، وراحة البال رزق، واطمئنان القلب رزق، فمن يتق الله فهو من أهل الفلاح الذين يسعدوا في الدنيا وفي الآخرة.

• الأدلة من السنة المطهرة على أن السعادة في طاعة الله ﷻ:

**الدليل الأول:** أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

**"ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"**

**نقل الحافظ في "الفتح" (٧١/١) عن البيضاوي - رحمه الله - أنه قال:**

إن المرء إذا تأمل أن المنعم هو الله تعالى، وأنه لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي بين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكلية نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله سبحانه، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حقاً يقيناً، ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود في الكفر إلقاء في النار. أهـ

**يقول ابن القيم - رحمه الله - كما في "مدارج السالكين" (١/١٤١):**

"يتحقق للعبد مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، علماً وحالاً، فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الألوهية، فإنه إذا تيقن أن الضرر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلال والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يقبّل القلوب ويصرفها كيف شاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانته، ولا مخدول إلا من خذله وأهانته وتخلّى عنه، وأن أصحّ القلوب وأسلمها... مَنْ أَتَاكَ إِلَهَاً وَمَعْبُوداً، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَتَتَقَدَّمُ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الْمَحَابِّ فَتَتَسَاقِ الْمَحَابِّ تَبَعاً لَهَا، كَمَا يَتَسَاقِ الْجَيْشُ تَبَعاً لِلْمُلْكِ، وَيَتَقَدَّمُ خَوْفُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الْخَوَافِ فَتَتَسَاقِ الْخَوَافُ كُلُّهَا تَبَعاً لَخَوْفِهِ، وَيَتَقَدَّمُ رَجَاؤُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الرِّجَاءِ، فَيَتَسَاقِ كُلُّ رَجَاءٍ تَبَعاً لِرَجَائِهِ، فَهَذَا عَلَامَةُ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَةِ فِي هَذَا الْقَلْبِ. أهـ

**يقول ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" (٣/٢٧٩):**

فلا عيش إلا عيش المحبين الذين قرّت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم، واستأنسوا بقربه، وتغنموا بحبه، ففي القلب فاقة لا يسدها إلا محبة الله، والإقبال عليه، والإنابة إليه، ولا يُلِمُّ شعثه بغير ذلك البتة، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات، فإنه إن كان ذا همة عالية تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، فإن همته لا ترضى فيها بالدون، وإن كان مهيناً خسيساً فعيشة كعيش أخس الحيوانات، فلا تقرّ العيون إلا بمحبة الحبيب الأول، كما قيل:

**نَقْلُ فَوَادِكْ حَيْثُ شَتَّتْ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ**

وقال ابن القيم - رحمه الله - أيضاً:

"فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرّة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا وسرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تتقلب آلاماً وعذاباً، ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا لله"

**الدليل الثاني:** وأخرج الإمام مسلم عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ يقول:

**"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً"**

- وفي رواية عند الطبراني في "معجمه الصغير" والبيهقي في "سننه" وصحها الألباني في "الصحيحة" (١٠٤٦):

**"ثلاث من فعلهنّ فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله ﷻ وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة به نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنه، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله ﷻ لم يسألكم خيرها، ولم يأمركم بشرها، وزكى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان."**

فهذا الحديث والذي قبله يدل على أن السعادة في الطاعة والعبادة، وهذه هي الحياة الطيبة التي وعدّها الله ﷻ لأهل الإيمان، والعمل الصالح، الذين يعبدون الله وحده، ويفعلون الواجبات، ويتركون المحرمات، ويجتهدون في نوافل الطاعات، فيزكي الله نفوسهم، فيسعدوا في الدنيا والآخرة

وصدق ربنا حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

يقول الأستاذ سليم الهلالي في كتابه "حلاوة الإيمان في ضوء القرآن الكريم والسنة

**الصحيحة" ص ٦:** إن للمؤمنين أهل محبة الله من النعم والسرور والفرح بالله ما لا يجده إلا من ذاق طعم الإيمان، فمن ذاق عرف، ومن عرف اغترف من نهر المحبة الخالصة، الذي فجره الله في قلوب أوليائه، فسلكه ينابيع في جوارحهم، فاتخذوا صالح العمل، وطيب القول سقناً تمخر بهم إلى حلاوة الإيمان.

**يقول الدكتور أنس أحمد كرزون:** فمن اجتهد في تزكية نفسه وترقيتها، حتى يبلغ درجة الإحسان، فقد فاز بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وتلك هي السعادة الحقّة التي تختلف اختلافاً كبيراً عن السعادة المتوهمة، التي يسعى إليها أهل الدنيا، يشقون ليحظوا بها، فلا ينالون إلا مزيداً من الشقاء والتعاسة.

(منهج الإسلام في تزكية النفس: ٧٥٤/٢)



## الدليل الثالث: ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي في عشرة النساء عن أنس بن مالك

ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"حُبِّبْ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النَّسَاءَ وَالطَّيِّبَ، وَجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"**

فهو ﷺ مع محبته للنساء والطيب، فإن هذه المحبة لا تقطعه عن الله، ولا عن مناجاته، بل مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس، وتستولي على قلبه، وتكون قرّة عينه بهذه المناجاة وليست لأحدٍ سواه. فلا عيش إلا عيش المحبين، الذين قرت أعينهم بحبيبتهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم، واستأنسوا بقربه، وتنعموا بحبه، ففي القلب فاقة لا يسدها إلا محبة الله، والإقبال عليه، والإنابة إليه، ولا يلم شعثه بغير ذلك البتة، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم، وغموم، وآلام، وحسرات.

فلاشك في أن كل من كان بعيداً عن طاعة الله ﷻ فهو في ضيق وضنك وشقاء وبلاء، مهما حصل من شهوات الدنيا الدنية ولذاتها الفانية، فمدار السعادة والشقاء على القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بعلام الغيوب، وغفار الذنوب، وإن كان يبدو للناس أن أسباب سعادة الدنيا: المال، أو الشهرة، أو الشهوات، أو الوصول إلى المناصب وأعلى الشهادات، بعيداً عن رب الأرض والسموات، وفي الواقع هي سعادة زائفة بل كل ذلك ﴿كَسْرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ

حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ [النور: ٣٩]

فأكثر الناس يلهث خلف المال، والشهرة، والشهوات، والمناصب، والشهادات، ظناً منهم أنهم سيحصلون السعادة المفقودة، والغاية المنشودة، فتضيع الأعمار النفيسة في طلب الأغراض الخسيسة، ولا يجدون إلا الهمّ والغمّ، والحزن، والضنك، والشقاء، وهكذا حال كل من أعرض عن الله تعالى.

**أحبي في الله...** لابد أن نعلم جميعاً أن الصلاة من أفضل الطاعات التي يتقرب بها العباد إلى رب

الأرض والسموات، وهي مصدر لسعادتهم، كما قال حبيبهم ﷺ:

**"وجعلت قرّة عيني في الصلاة".**

**يقول ابن القيم — رحمه الله —:**

وأما الصلاة فشأنها في تفرغ القلب، وتقويته، وشرحه وابتهاجه، ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعيم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم، وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة، ما صارت به من أكبر الأدوية، والمفرحات، والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة، وأما القلوب العليقة فهي كالأبدان، لا تتاسبها إلا الأغذية الفاضلة، فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفسد الدنيا والآخرة، وهي مناهة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطرودة للداء عن الجسد، ومنورة للقلب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفوس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاق الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغمة.

أهـ (نقلًا عن كتاب "لا تحزن" ص ٢١١)

**ويقول الدكتور أنس أحمد كرزون في كتابه "منهج الإسلام في تزكية النفس"**  
(٢٢٥/٢-٢٢٧):

إذا أقبل العبد على صلاته بهمة ورغبة، واستشعر مناجاته لربه وتضرعه بين يديه، فإن تلك الصلاة تُمدّه بقوة روحية، وتمنحه طمأنينة النفس وراحتها، وتعينه على مواجهة متاعب الحياة، **ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٣]، فالصلاة أكبر عون على مهمات الحياة ومصائبها، يلجأ فيها العبد المكروب إلى ربه فيجد راحته، ويحس بتأييد الله له ورحمته به.

**فعن حذيفة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى"** (رواه أبو داود وأحمد بسند ضعيف).

**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وجعلت قرّة عيني في الصلاة"**

**وكان رسول الله ﷺ يقول: "قم يا بلال فأرحنا بالصلاة"** أي: أقم الصلاة لنستريح بها من مقاساة الشواغل، كما يستريح المتعب إذا وصل إلى مأمنه ومنزله.

وهكذا يشعر المؤمن في صلاته بالسكينة والطمأنينة، ويفزع إليها كما يفزع الخائف إلى ركن ركين، ومكان أمين. ولذلك لم تكن الصلوات مقصورة على الفرائض، وإنما هناك سنن ونوافل متنوعة، تزيد من صلة العبد بربه، وتقر بها عينه، وتأمين بها نفسه، حتى تصبح الصلاة سلاحه الدائم، والمفتاح لحل همومه ومشاكله، ولعل من المفيد الإشارة إلى بعض أقوال علماء النفس الغربيين في الاعتراف بأهمية الصلاة لبث الطمأنينة في النفس، وعلاجها من أمراضها.

يقول (الكسيس كارليل):

إن الصلاة تحدث نشاطاً روحياً معيناً، يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض الأمراض.  
ويقول (توماس هابسلوب): إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن؛ لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب. أهـ باختصار

— وأخيراً... بقي أن نعرف أن الله ﷻ إنما شرع الشرائع من أجل أن يسعد المؤمنون بها في الدنيا والآخرة، فالله ﷻ لا يستفيد شيئاً من طاعات العباد، كما أنه ﷻ لا يتضرر بشيء من معاصيهم، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلِإِدْمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

فالعباد يذبحون وينحرون الهدى، والأضاحي وهم الذين يأكلون لحومها، ويُعظمون بذلك شرع الله ﷻ، ويستجيبون لأمره، فطاعة العباد لا تزيد في ملك الله ﷻ شيئاً، كما أن معاصيهم لا تنقص في ملك الله ﷻ شيئاً.

فقد جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم أن الله ﷻ قال:

"يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي إنكم لم تبلغوا ضري فتضروني، ولم تبلغوا نفعي فتنفعوني"

فشأن العباد أقل وأذل من أن ينفعوا الله ﷻ، فالعباد أنفسهم هم الذين يتضررون بمعاصيهم، والعباد هم أنفسهم الذين يسعدون وينتفعون بطاعاتهم، والله هو الغنى الحميد.

• أقوال السلف الصالح، والتي تدل على أن الحياة الطيبة، واللذة والحلاوة والسعادة هي في الطاعة والعبادة:

١. قال الحسن البصري - رحمه الله -: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.
٢. وقال مالك بن دينار - رحمه الله - ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله تعالى.
٣. وقال بعضهم: أهل الليل في ليلهم ألدُّ من أهل اللّهُ في لهُوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.
٤. وقال بعضهم: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة.
٥. وقال بعضهم: عالجت قيام الليل سنة وتمتعت به عشرين سنة.
٦. وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، ومعرفة، وذكره.
٧. وقال بعضهم: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف.
٨. وقال آخر: أنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً.
٩. وقال آخر: أنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.
١٠. ويقول ابن القيم - رحمه الله - كما في "الوابل الصيب" ص ٦٩ : ٧١ :  
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري أينما رحت، فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بِابٍ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣].  
يقول ابن القيم: والله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، والحبس، والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض أتيناها، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة، و يقيناً، وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من روحها، ونسيمها، وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

## ١١ . ويقول إبراهيم بن بشار - رحمه الله:-

"خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الفولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يُقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاهم بين أيدينا فأكلنا وحمدنا الله، فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه، فمال بكفيه في الماء فملاها ثم قال: بسم الله وشرب، فقال: الحمد لله، ثم أنه خرج من النهر فمد رجله وقال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف على ما نحن فيه من لذيذ العيش.

فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم إبراهيم بن أدهم وكأنه يقر أبا يوسف.

وصدق أبو يوسف في وصف هؤلاء الذين ظنوا أن السعادة في جمع المال، أو الشهرة، أو الجاه، فسعوا لتحصيلها وتركوا عبادة الله فضلوا الطريق، فهؤلاء قال الله عنهم:

﴿وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْعَامِ بَلٍ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وعن حظه العالي ويلهو ويلعب  
أضاع لأمسى قلبه يتلهب  
وإن كان يدري فالمصيبة أصعب  
ويصبح مسلوباً ينوح ويندب  
ما يساوى بلا علم وأمره أعجب  
بلذة حلم عن قليل سيذهب  
ولكن أضعت الحزم والحكم يغلب  
فأين عن الأحباب ويحك تذهب  
أضعت إذا تلك الموازين تنصب

فيا عجباً من معرض عن حياته  
ولو علم المحروم أي بضاعة  
فإن كان لا يدري فتلك مصيبة  
بلى سوف يدري حين ينكشف الغطاء  
وتعجب ممن باع شيئاً بدون  
لأنك قد بعت الحياة وطيبها  
فهلا عكست الأمر إن كنت حازماً  
تصد وتناى عن حبيبك دائماً  
ستعلم يوم الحشر أي تجارة

وكتب الشيخ جمال الدين التبريزي - رحمه الله - إلى الشيخ بهاء الدين الملتاني كتاباً قال فيه: "يا أخي! مَنْ شَرِبَ من بحر مودته يحيى حياة لا موت بعدها، وَمَنْ لم يذُق من صافي المحبة، يخرج من الدنيا كالبهائم صفر اليدين، وإذا مات صار جيفة، ومات موتاً لا حياة بعده،

كما قال أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]

(الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام - للشيخ عبد الحي الندوي (٢ / ٢١ - ٢٣)

وأخيراً يقول لنا الدكتور عمر الأشقر في كتابه "منهاج تركية النفس في الإسلام" ص ٢٩-٣٠: يكشف القرآن والسنة للعباد عن حقيقة السعادة العظمى، التي يجد العباد في أكنافها الطمأنينة والهدوء والراحة، فيندفع إلى تحقيق ما يطلبه ربه منه بقوة وعزم، على الرغم مما يجده في طريقه من صعاب وعقبات.

وقد أعلمنا ربنا أن تركية النفوس بهدى الله، ونور كتابه، والاستقامة على ذلك هو الذي يجعل العبد يُحصِّل السعادة في الدنيا والآخرة، قد يظن بعض الناس أن السعادة في الدنيا تتحقق إذا تمتع العبد بأنواع المآكل والمشارب والملابس، وحصل على المال والجاه والسلطان، وتزوج بالجميلات من ذوي الأحساب والأنساب، وَمَنْ تفكَّر في حال هؤلاء تفكَّر مبصرٍ معتبر، علم أن ما حصلوه يشاركهم فيه البهائم، بل قد يكون حظ البهائم من أنواع اللذات أعظم من حظوظ البشر منها.

إن النعيم الأكبر الذي يمكن أن يحوزه العبد في دنياه ينبع من القلب الذي خالطته بشاشة الإيمان، فإذا ما استولى الإيمان على القلب، وجد حقيقة النعيم الذي اشتغل عنه الغافلون بمتاع الدنيا، فكانوا كمن سلى عن الذهب بالتراب، ورضي عن سكنى القصور بسكنى القبور.

إن الذين حصلوا حلاوة الإيمان شغلهم هذا النعيم عن الأهل، والأوطان، والأموال، بل تراهم يبذلون أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل من أحبته قلوبهم.

فها هو حرام بن ملحان رضي الله عنه: يطعن بالرمح من خلفه حتى ينفذ إلى صدره، فيقول: الله أكبر فزت ورب الكعبة. أهـ بتصرف

وها هو عمير بن الحمام رضي الله عنه في يوم بدر: يُخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهم، ثم قال: لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل.

وها هو خبيب بن عدي رضي الله عنه يقول في رضا:

على أي جنبٍ كان في الله مصرعي  
يبارك علي أوصال شلوي<sup>(١)</sup> مُمَرَّع

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ

(١) شلوي: أعضاء الجسد بعد تمزيقها.

## ٢. من أسباب السعادة: كثرة ذكر الله:

وعدم ذكر الله نتيجته قسوة القلب، وقاسي القلب مستحق لو عيد الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، فالذي لا يذكر ربه يسيطر عليه الشيطان، ويكون معه حيثما كان، كما قال الواحد الديان: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

[الزخرف: ٣٦]

— يعيش: يعرض ويتعامى

— نُقِصْ: نقدر له ونهيه له.

فما بالك بحال هذا الرجل الذي لا يذكر الرحمن ويكون قرينه الشيطان؟ لا ريب أنك تجده مضطرب القلب، خائف مستوحش، مهموم مغموم، لا يشعر بالراحة والسعادة والاطمئنان، ويكسو وجهه ظلمة، ويغطي قلبه الران، وهو في حكم الأموات، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت".

وانظر لمن يُكثر من ذكر الرحمن، تجده دائماً في راحة واطمئنان، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

وإذا اطمئن القلب انشرح الصدر، وارتاح البال وأنس بالله، وسعد في الدنيا والآخرة، وهذا هو عين الفلاح، الذي أرشدنا تعالى إلى تحصيله؛ وذلك بكثرة ذكره، فقال تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وقد ذكر ابن القيم — رحمه الله — في كتابه "الوابل الصيب من الكلم الطيب:

فوائد كثيرة لذكر الله منها: —

١. أن الذكر يرضي الله صلى الله عليه وسلم.
٢. أن الذكر يطرد الشيطان.
٣. أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
٤. أنه يجلب للقلب الفرح، والسرور، والسعادة.
٥. أنه يقوي القلب، والبدن.

٦. أنه ينور الوجه والقلب.
٧. أنه يجلب الرزق.
٨. أنه يكسو الذاكر المهابة والنصرة.
٩. أنه يورث المحبة.
١٠. أنه يورث المراقبة، والإنابة، والقرب إلى الله ﷻ.
١١. أنه يورث الهيبة لربه ﷻ.
١٢. أنه يورث ذكر الله ﷻ له.
١٣. أنه يورث حياة القلب.
١٤. أنه قوت القلوب والروح.
١٥. أنه يحط عنه الخطايا ويذهبها.
١٦. أنه يزيل الوحشة بينه وبين ربه.
١٧. أن العبد إذا ذكر ربه في الرخاء عرفه الله تعالى في الشدة.
١٨. أنه منجاة من العذاب.
١٩. أنه سبب لنزول السكينة.
٢٠. أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش.
٢١. أن الذاكر تجالسه الملائكة في المجلس الذي يذكر فيه ربه.
٢٢. الذكر يسعد الذاكر، ويسعد به جليسه.
٢٣. أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.
٢٤. أن الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله تعالى للعبد يوم القيامة في ظل العرش.
٢٥. أن الذكر سبب لإعطاء الذاكر أفضل ما يعطي السائلين.
٢٦. أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.
٢٧. أن الذكر غراس الجنة.
٢٨. أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه.
٢٩. أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمرَ إليها السالكون.
٣٠. أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية تثمر القرب والولاية، والمحبة، والنصرة، والتوفيق.
٣١. أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ، والضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ.



٣٢. أن الذكر رأس الشكر.
٣٣. أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره.
٣٤. أن الذكر يذيب قسوة القلب.
٣٥. أن الذكر شفاء القلب ودواؤه.
٣٦. الذكر يجلب النعم، ويدفع النقم.
٣٧. الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر.
٣٨. أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.
٣٩. أن الله ﷻ يباهي بالذاكر ملائكته.
٤٠. ذكر الله ﷻ يُسهّل الصعب، ويبسّر العسير، ويخفّف المشاق.
٤١. ذكر الله ﷻ يذهب مخاوف القلب.
٤٢. أن الملائكة تستغفر للذاكر.
٤٣. كثرة الذكر أمان من النفاق.
٤٤. الذكر حرز للذاكر من الشيطان.

### ٣. من أسباب السعادة: المرأة الصالحة، والبيت الواسع، والمركب الهنيء، والجار الصالح:

وهذا كله رزق يسوقه الله لمن أراد به الخير، والإنسان منا يسعى لتحصيلها ليفوز بالسعادة

**فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**

**"ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة: المرأة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيفة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاوة: المرأة تراها فتسوءك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق"**

(صحيح الجامع: ٣٠٥٦)

**وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد:**

**"أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق والمركب السوء".**



## ٤. من أسباب السعادة: ترك الذنوب والمعاصي:

فالذنوب والمعاصي تهلك العبد، وتبعده عن الله، وتجعله شقيماً غير سعيد، وللذنوب والمعاصي آثاراً خطيرة تضر بقلب العبد وبدنه، فتجلب له الشقاء والتعاسة.

**قال ابن القيم - رحمه الله -:**

وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، ومنها:-

١. فمنها أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه، وجيش يقويه به على حربه.
٢. ومن عقوبات المعاصي أنها تخون العبد في وقت أحوج ما يكون إلى معرفة ما ينفعه وما يضره.
٣. ومنها أنها تجرئ العبد على من لم يكن يجترئ عليه.
٤. ومنها الطبع على القلب إذا تكاثرت؛ حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين،

**كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]**

قال: هو الذنب بعد الذنب، وقال: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدا حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف.

٥. ومن عقوبات المعاصي: إفساد العقل، فإن العقل نور، والمعصية تطفئ نور العقل.
٦. ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه، وتصغر في قلبه.
٧. ومنها أن ينسلخ من القلب استقباح الذنوب، فتصير له عادة.
٨. ومنها أن المعاصي: تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً.
٩. ومن عقوبات المعاصي: ظلمة يجدها في قلبه، يحسُّ بها كما يحسُّ بظلمة الليل.
١٠. ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن، أما وهنها للقلب فأمر ظاهر، بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية، وأما وهنها للبدن، فإن المؤمن قوته في قلبه، وكلما قوي قلبه قوي بدنه.
١١. ومنها أن المعاصي تحقق العمر إذ أن المعاصي كلها شرور.
١٢. ومنها شماتة الأعداء؛ فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهذا ما يفرح العدو،

ويسيء

الصديق.

١٣. ومنها تعسير أموره، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

١٤. ومنها الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولاسيما أهل الخير.

١٥. ومنها حرمان دعوة الرسول ﷺ، ودعوة الملائكة للذين تابوا.

١٦. ومنها أن الذنوب تُدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ.
١٧. ومنها أنها تطفئ نار الغيرة من القلب.
١٨. ومنها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب.
١٩. ومنها أنها تضعف في القلب تعظيم الرب، وتضعف وقاره في قلب العبد.
٢٠. ومنها أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه.
٢١. ومنها أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان، وتمنعه ثواب المحسنين.
٢٢. ومنها أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة.
٢٣. ومنها أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته.
٢٤. ومنها أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره، وتسد طرق العلم.
٢٥. ومنها أنها تصغر النفس، وتحقرها وتقمعها.
٢٦. ومنها أن العاصي في أسر شيطانه، وسجن شهواته.
٢٧. ومنها سقوط الجاه والمنزلة، والكرامة عند الله، وعند خلقه.
٢٨. ومنها أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه.
٢٩. ومنها أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف.
٣٠. ومنها أنها تجعل صاحبها من السفلة.
٣١. ومنها أنها تحرم العبد الرزق، كما ورد في الحديث الذي رواه ثوبان مرفوعاً:

**"إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه"**

(أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٤١-٤٤٢)، وأحمد (٥/٢٧٧ و ٢٨٠ و ٢٨٢)، وابن ماجه (٩٠)

وغيرهم).

وآثار المعاصي خطيرة، فهي تشقي صاحبها في الدنيا، وتشقيه في الآخرة، فهي سبب التعاسة وعدم السعادة في الدارين.

## ٥. ومن أسباب السعادة: الرضا بالقضاء والقدر:

**يقول العربي - رحمه الله -:** مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ لَمْ يَتَّهِنْ بِعَيْشٍ. أَهـ

فالساخت على ما قدر الله غير راضٍ بما قسمه الله له أو لغيره، لا تطمئن نفسه ولا يهدأ باله، متوتر دائماً، لا يحس بالراحة والسعادة؛ لأنه لم يشرب قلبه الرضا بقضاء الله، وعلى النقيض تجد المؤمن سعيداً؛ لرضاه بقضاء الله وقدره، الذي يغرز السعادة والراحة، وهدوء البال، وإن كان رزقه كفافاً.

وقد أوجب الله ﷻ على عباده الرضا بقضائه سبحانه في السراء والضراء، بل وجعله ركناً من أركان الإيمان، فمتى رضي العبد بقضاء الله تعالى، خالط الإيمان بشاشة القلب، وأصبحت النفس مطمئنة راضية وتحققت له السعادة.

**فقد أخرج الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**  
**"إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط"**  
**يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:**

**"إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط".**

فالسعيد هو من يرضى بقضاء الله تعالى في السراء والضراء  
**فقد أخرج الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**  
**"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاً**  
**شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاً صبر فكان خيراً له".**

فالمؤمن دائماً في خير، ففي السراء يشكر الله تعالى؛ فيزيده من النعم كما قال ربنا سبحانه:  
**﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ٧]. وكان شكره لله تعالى في ميزان حسناته زخراً له يوم العرض عليه، فربح في الدنيا والآخرة.

وإن أصيب بمصيبة صبر وحمد الله على كل حال، فكان ذلك في إرضاء المولى، فعوضه الله خيراً وجعل صبره وشكره زخراً له يوم القيامة، كما قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**  
 [الزمر: ١٠]

**وأخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**  
**"من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة**  
**ابن آدم تركه استخارته الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ﷻ".**  
**يقول ابن الجوزي كما في "صيد الخاطر" ص ٣٢٩ : ٣٣٠:**

"رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله ﷻ، والإقبال على الدنيا، وكلما فات فيها شيء وقع الغم لفواته، فأما من رزق معرفة الله تعالى وأطاعه استراح؛ لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فمهما قدر له رضي، ولم يختلج في قلبه اعتراض؛ لأنه مملوك مدبر، فتكون همته في خدمة الخالق، ومن هذه

صفته لا يؤثر جمع مال، ولا مخالطة الخلق، ولا الالتذاذ بالشهوات، ولكن يقبل على عبادة وطاعة رب الأرض والسماوات. أهـ

— انظر أخي الحبيب إلى عروة بن الزبير:

بُتِرَتْ رجله، ومات ابنه، وكان ذلك في يوم واحد، فقال: "اللهم لك الحمد إن كنت أخذت فقط أعطيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت، منحتني أربعة أعضاء وأخذت عضواً واحداً، ومنحتني أربعة أبناء وأخذت ابناً واحداً.

— ودخل أبو الدرداء على رجل يموت وهو يحمده الله : فقال أبو الدرداء:

أصبت، إن الله ﷻ إذا قضى أحبَّ أن يُرضى به.

— وما هو عمر بن عبد العزيز يقول:

ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر، وقيل له: ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله ﷻ به.

ومن الإيمان بالقضاء والقدر أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك

فقد أخرج الترمذي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — عن النبي ﷺ قال:

"احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك "

(صحيح الجامع: ٧٩٥٧)

وفي رواية عند أبي داود:

"واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك"

(صحيح الجامع : ٥٢٤٤)

تنبيه:

إذا رضي العبد بقضاء الله، ودعا بهذا الدعاء الذي علّمنا إياه النبي ﷺ، سيذهب الله همه

ويبدله مكانه فرحاً، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال:

"ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا غمٌ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به

نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً".

## ٦- ومن أسباب السعادة كذلك: القناعة والرضا باليسير:

فالقناعة سبب العز في الدنيا:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال:

"يا محمد عَشْ ما شئت فإنك مَيّت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس"

وقال بعض السلف: عزٌّ مَنْ قنع، وذُلٌّ مَنْ طمع.  
فالقانع لا يزال عزيزاً سعيداً؛ لأنه لا يذله ولا يشقيه الطلب.

والقناعة كذلك سبب الفلاح في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"قد أفلح مَنْ أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنعه الله بما أتاه".

ولذلك كان النبي ﷺ يقول كما في الصحيحين: "اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً"  
- الكفاف: ما كفاك عن سؤال الناس.

- وفي رواية: "قوتاً". - القوت: ما يسد الرمق.

فكونك تقنع بما آتاك الله تعالى - في هذه الحياة الدنيا - وتجد قوت يومك فهذه نعمة عظيمة تستأهل منك الشكر، وكان النبي ﷺ يسألها لأهل بيته كما مر بنا

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه عن عبيد الله بن محصن أن النبي ﷺ قال: " مَنْ أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها".

- سربه: نفسه، وقيل: قومه، وضبطت بفتح السين والراء، يعني: مذهبه وطريقه ومسلكه.

وصدق القائل حين قال:

والفقر خير من غنى يطغيها  
فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها  
لو لم يكن منها إلا راحة البال  
هل راحَ منها بغير الطيب والكفن

النفس تجزع أن تكون فقيرة  
وغنى النفوس هو الكفاف  
هي القناعة فالزمها تكن ملكاً  
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها



وذكر ابن الجوزي في كتابه "عيون الحكايات": عن العمري السقطي أنه قال:

رأيت البهلول، وقد دلى رجله في قبر وهو يلعب بالتراب، قلت: أنت ها هنا؟ قال: نعم. عند قوم لا يؤذوني، وإن غبت لا يغتابوني. قلت له: إن السعر قد غلا، قال: لو بلغت كل حبة بمثقال لا أبالي، نعبده كما أمرنا، ويرزقنا كما وعدنا، ثم أنشأ يقول:

أفريت عمرك فيما ليس تدركه  
يا من تمتع بالدنيا ولذتها  
ولا تنام عن اللذات عيناه  
تقول لله ماذا حين تلقاه؟

وصدق القائل:

فمن يحلل بساحة القناعة  
لم يلق في ظلها همًا يؤرقه

بخلاف من أفنى عمره في تحصيل المال ولم يقنع بما قسمه الله له، فهو في همٍّ دائم ونكد لا ينقطع. فهو في همٍّ وشقاء لتحصيل المال، و همٍّ وشقاء بعد تحصيله خوفاً من ضياعه، وهمٍّ وشقاء عندما يفارقه، فهو عبدٌ للمال؛ ولذا فهو في تعاسة وشقاء، وقد أصابته دعوة الحبيب المصطفى ﷺ.

فقد أخرج البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"تَعَسَّ عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعْطِيَ رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتفش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع".

— والخميصة: ثياب خز أو صوف معلمة.

والرسول ﷺ جعله عبداً لهذه الأشياء لشغفه وحرصه، فمن كان عبداً لهواه، لم يصدق في حقه:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فهذا حال كل من تعبد قلبه لغير الله ﷻ من مال، أو شهوة، أو حب الدنيا؛ فإنه سيصيبه شقاء وضنك، فسعادة العبد في العبودية لله ﷻ، وشقاؤه في الدنيا والآخرة في عبودية غير الله.

وجاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ".

(صحيح الجامع: ٦٥١٠)

## ٧. ومن أسباب السعادة كذلك: أن تنظر دائماً إلى من هو دونك من أهل الدنيا، ولا تنظر إلى من هو فوقك:

إذا نظر الإنسان إلى مَنْ فَضَّلَ عليه في المال، والخلق، والدنيا، طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد بذلك أو ما يقاربه، وهذا هو الموجود في غالب الناس، وإذا نظر في أمور الدنيا إلى مَنْ هو دونه، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه؛ فشكرها وتواضع وجعل فيه الخير.

وقد حَبَّبَ إلينا رسول الله ﷺ النظر إلى من هو أسفل منا، وعدم النظر إلى من فَضَّلَ علينا في الدنيا، فهذا يورث سعادة في القلب، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم"

— أجدر: أحق.

— ألا تزدروا: ألا تحتقروا.

— وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً:

"إذا نظر أحدكم إلى من فَضَّلَ عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فَضَّلَ عليه". — الخلق: الصورة

فإذا فعل المسلم ذلك، أحس بالرضا، وشكر الله على ما أولاه من نعم، ولم يستصغر ما عنده من منن، فأحس بالسعادة والطمأنينة، وراحة البال، وهدوء السريرة. أما المتطلع إلى مَنْ فَضَّلَ عليه في الدنيا، فإنه يحس بالحسرة وعدم الرضا؛ لأنه لم يحصل على ما حصل لغيره من فضل ونعم، فلا جرم أن يعيش في شقاء وتعاسة؛ لأنه لم يتمثل ما وصى به رسول الله ﷺ، فاستصغر ما عنده من نعم أعطاه الله له، ولم يشكره عليها، وربما جردها فيعاقبه الله على ذلك بسلبها

قال الترمذي: ويروى عن عون بن عبد الله بن عتبة قال:

" صحبت الأغنياء فلم أر أحداً أكثر همّاً مني: أرى دابة خيراً من دابتي، وثوباً خيراً من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت".

## ٨- ومن أسباب السعادة : ترك الحسد ومحبة الخير للناس :

فالذي يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، تجده في هم وغم وشقاء دائم؛ لأنه يري دائماً مَنْ فُضِّلَ عليه في المال أو الخلق، ويتمنى أن تزول هذه النعم وتنتقل إليه، وهو بهذا يعترض على حكم الله وقضائه، ويظن أن الذي خلق فسوّى لم يحسن القسمة بين الناس.

وفي هذا المعنى يقول منصور الفقيه:

ألا قل لمن كان لي حاسداً  
أسأت على الله في حكمه  
أتدرى على من أسأت الأدب  
لأنك لم ترض لي ما وهب  
فجازاك عني بأنه زادني  
وسدّ عليك وجوه الطلب

**فقال بعضهم:** الحاسد جاحد؛ لأنه لا يرضى بقضاء الواحد.

**وليعلم كل من يحسد أنه يضر دينه ودنياه**

• **أما الضرر في الدين:** فإنه يتسخط على قضاء الله وقدره، فهو بذلك يشارك إبليس في حسده، وأنه يكره النعمة التي أنعم الله تعالى بها على عباده المؤمنين، وأنه ترك العمل بقول النبي ﷺ:

**"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"** (البخاري ومسلم)

• **أما الضرر في الدنيا:** لما يحدث له من ضيق في الصدر، حسرة في القلب، هم وغم، قلق واضطراب، يستولي عليه الفكر الدائم؛ فيفقد راحة البال، وهذا كله يضر بجسده فيذبل، هذا بجانب أنه ينشغل عن مصلحة نفسه بتتبع أخبار الناس والانشغال لهم، فالعاقل الذي ذاق طعم السعادة هو الذي يعلم بأن النعم من المنعم وحده، وأن لكل إنسان في هذه الدنيا نصيبه الذي كتبه الله له، فلا يحسد أحداً على ما أعطاه الله، وليحمد الله على نعمة الإسلام وستر الله عليه، وإلا فما دون ذلك كله متاع قليل، طالبت الدنيا أو قصرت سينفذ، أو صاحبه سيودعه ولن يأخذه معه، فعلى المسلم أن يرضى بما قسم الله، وإن رأى نعمة على صاحبه يتمنى له المزيد ويدعو له، فهناك ملك يقول: آمين ولك بمثل.

وبهذا يشعر براحة البال، واطمئنان للقلب، وهدوء للنفس، وهؤلاء الذين وصفهم الله بقوله:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ

**رؤوفٌ رَحِيمٌ** ﴿الحشر: ١٠﴾

— غلاً: أي حقداً وحسداً.

## ٩. ومن أسباب السعادة كذلك: حضور مجالس العلم وطلب العلم النافع:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا جُلِسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"

فكيف يتحصل الإنسان على هذه الأمور؟ من نزول السكينة والرحمة، وذكر الله له... وغير ذلك من الأمور التي تكون سبباً في سعادة العبد في الدنيا والآخرة في غير مجالس العلم.

— وقد سمى النبي ﷺ مجالس الذكر (أي: مجالس العلم) رياض الجنة

فقد أخرج الترمذي بسند حسن حسنه الألباني كما في "صحيح الترمذي" (٢٧٨٧)

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، فقل: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر."

يقول الشيخ عائض القرني — حفظه الله — في كتابه "لا تحزن" ص ١٩٧:

إن مما يشرح الصدر: كثرة المعرفة، وغزارة المادة العلمية، واتساع الثقافة، وعمق الفكرة، وبُعد النظرة، وأصالة الفهم، والغوص على الدليل، ومعرفة سر المسألة، وإدراك مقاصد الأمور، واكتشاف حقائق الأشياء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، إن العالم رحب الصدر، واسع البال، مطمئن النفس، منشراح

الصدر. أهـ

وقال الدكتور أنس أحمد كرزون في كتابه "منهج الإسلام في تزكية النفس" (٢٠٠/١):

العلم منشط للنفس، وممتع لها، وهذه المتعة تنسي طالب العلم ما يلحقه من متاعب، وتخفف عنه ما يبذله من عناء؛ لأنه يجد في العلم مرتعاً يأوي إليه، ويرتاح عنده، وبذلك تقوى همته في طلب العلم، ولا يشبع منه أبداً.

وهذا ما أشار إليه الحديث الذي رواه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال"، وهذا النهم في طلب العلم هو بلا شك دافع للعمل، ومغذٍّ للنفس، حتى تتزكى وتشفى من أمراضها، وتبتعد عن اللذات المحرمة التي تميل إليها النفس الأمارة.

قال الإمام الماوردي: العلم هو عوض من كل لذة، ومغنٍ عن كل شهوة.

ومن تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفتقه سلوة، فلا سمير كالعلم، ولا ظهير كالعلم، وما أحسن قول الشاعر:

شربت العلم كأساً بعد كأس      فما نفذ الشراب ولا رويت

وقد أورد الإمام ابن القيم - رحمه الله - قصة في هذا المجال عن شيخه الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: حدثني شيخنا قال:

ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك كلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليس النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة؛ فدفعت المرض؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تسر بالعلم، فتقوى به الطبيعة فأجد به راحة، فقال: هذا خارج عن علاجنا. أهـ

## ١٠. ومن أسباب السعادة كذلك: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

فعليك بصدق اللجوء إلى الله تعالى، وقل في ذل وانكسار: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾

[طه: ٢٥-٢٦]

وقل كما علمك حبيبك ونبيك ﷺ، فقد كان ﷺ يقول كما في "صحيح البخاري ومسلم":

"اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال".

وكان يقول أيضاً كما في "صحيح مسلم":

"اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر".

ومن دعائه أيضاً ما ثبت في "صحيح البخاري ومسلم":

"اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء".

وكان يقول أيضاً كما في مسند الإمام أحمد بسند صحيح صححه الألباني - رحمه الله -:

"اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً".

(الصحيحة: ١٩٩)

واعلم أن العبد إذا ألهم الدعاء؛ فإن الإجابة معه والسعادة في الدعاء، كما قال رب العباد:

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

**وأخيراً:** أريد منك أخي الحبيب أن تقف موقف المُنصف، وتتنظر بعين الاعتبار إلى حال ومآل من جعل الدنيا همه؛ فعمل على تحصيلها، وظن أن السعادة في جمع المال، أو في الشهرة، أو المنصب والجاه؛ فعاش في وهم، وشقاء، وسعادة زائفة. فقارن بينه وبين من ذاق طعم السعادة، وعلم أنها في الطاعة والعبادة، فعاش يتقلب في السعادة وإن ظهر وبدا لنا خلاف ذلك.

### ففي الدنيا:

- هذا صدره ضيق، وقلبه مضطرب، ونفسه غير مطمئنة، غير قنوع، فلا يرضى باليسير، متسخط على أقدار الله.
- وأما صاحب السعادة الحقيقية، صاحب الطاعة والعبادة تجد صدره منشرحاً، قلبه مطمئناً، نفسه راضية، قنوع يرضى باليسير، غير متسخط على أقدار

**وصدق النبي ﷺ حيث قال كما عند الترمذي بسند صحيح:**

"مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ"

(صحيح الجامع: ٦٥١٠)

### وعلى فراش الموت أيضاً لا يستويان:

- فهذا تأتية ملائكة سود الوجه، معهم كفن من نار، وحنوط من نار، يجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، وتخرج روحه كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض.
- وأما صاحب السعادة، صاحب الطاعة والعبادة، فإنه تأتية ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، وتخرج روحه كأطيب ريح مسك وجدت على الأرض.

### وفي القبر:

- هذا يضرب بمطرقة من حديد، لو ضُرب بها جبل لصار تراباً، ويفتح له باب من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.
- والآخر يفتح له باب من الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد البصر.

## وفي الآخرة:

• فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

"يؤتى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب".

يقول هذا الكلام وهو الذي ظل يتقلب في ألوان النعيم طوال حياته، لكن نعيم زائف، وسعادة موهومة ولكنها ذهبت وبقي الحساب والجزاء.

تفنى اللذات ممَّن نال لذتها      من الحرام ويبقى الإثم والعارُ  
تبقى عواقب سوء من مغبتها      لا خير في لذة من بعدها النار

• وأما الآخر الذي علم أن السعادة ليست في جمع المال، إنما هي في طاعة الرحمن يخبرنا عنه النبي ﷺ فيقول: "ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط".  
فينسى هذا الإنسان كل شقاء وبؤس وشدة، بعدما يغمر في الجنة غمسه.

— فعليك أخي الحبيب أن تصبر على طاعة رب العالمين إلى أن تلقاه، ساعتها تسعد سعادة سرمدية أبدية، لا تقارن بنعيم الدنيا مهما بلغت  
فقد أخبرنا النبي ﷺ كما في صحيح مسلم عن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة فقال ﷺ:  
"والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليم، فلينظر بم يرجع".  
فما تعلَّق في الأصبع من قطرات فهو نعيم الدنيا مها بلع، أما هذا البحر الشاسع فهو نعيم الآخرة.  
— وإذا أردت أن تعرف مدى هذا النعيم ومقدار وحجم هذه السعادة،

فاستمع إلى هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن المغيرة بن شعبه ؓ عن النبي ﷺ قال: "إن موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال (رب العزة): رجل قد جئ بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال (موسى) عليه السلام: رب أعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر".



فانظر رحمك الله بين من يتقلب في السعادة الموهومة مهما بلغت من مال أو شهرة أو جاة أو منصب، وبين أدنى أهل الجنة منزلة؛ لتعلم أين هي السعادة الحقيقية؟!.

فأكثر الناس يعرضون عن الله ﷻ، ويظنون أن السعادة المفقودة، والغاية المنشودة هي في طلب المال، أو الشهرة، أو الشهوات، أو الوصول إلى المناصب وأعلى الشهادات، فتضيع الأعمار النفيسة في طلب الأغراض الخسيسة، والشهوات الدنيوية، واللذات الدنية، ولا يجدون إلا الهم والغم والحزن والضنك.

لكن السعادة الحقيقية هي في طاعة رب البرية، فالقلوب لا تصل إلى مُناها؛ حتى تتصل بمولاه، وصدق ربنا ﷻ حين قال:

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

فاللهم اجعلنا من السعداء، ولا تجعلنا من الأشقياء؛ حتى نسعد في الدنيا بطيب العيش، وفي الآخرة بلذة النظر إلى وجهك الكريم ... آمين.

**وبعد...**

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه أن ينفع بها مؤلفها وقارئها ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثمّ خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخلا  
جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك